حسين مهنا

أنت سببية وشعري نحيب العاجز

شعر

١٩٩٣

أنْت سَبَبيّتُهُمْ....

وشِعْرَي نحيبُ العاجزِ

حسين مهنّا

أنْتِ سَبَبيتُهُمْ....
وشِعْرِي نحيبُ العاجِزِ

شِعر

جميع الحقوق محفوظة للشاعر
١٩٩٣

الغلاف من تصميم الفنان
فوزي ناصر ـ الناصرة

طُبع في مطبعة ابو رحمون ـ عكا

هموم..

قلبي - ذاك الصّحنُ الطّائرُ
اينَ يحطُّ
وهل في الأرضِ مكانٌ
لا يحملُ رائحةَ الماضي
هل في الأرضِ مكانْ ؟!
مِن اين تجيءُ الاحلامُ
وهاتان العينانِ تدورانِ
تدورانِ...تدورانِ...
وهذا الرّأسُ مَرايا

تعكسُ ما فاتَ

تُرجّعُ ما كانْ.
والآتي...
لا يُستقْرأُ الاّ بالكفِّ
ولا يُنظرُ الاّ في فنجانْ .

*

يا كُلَّ دهاليزِ الحكمةِ
دُلّيني عن رَحِمٍ أدخلُ فيها
أبحثُ فيها عن سرِّ البَدْءِ
وسرِّ الخلقِ
ولا أخرجُ للدُّنيا الاّ قِنديلاً

*

يا كُلَّ مصابيح الثورّةِ
الظُّلْمةُ في كُلِّ مكانٍ
والجهلُ عصيرٌ نشربُهُ قبلَ الأكلِ ،
وبعدَ الأكلِ ،
ونسكرُ... نسكرُ لا نصحو ،
تغزونا الكيمياءُ ،
وسِحْرُ الفيزياءِ ولا نصحو
ويفوتُ قطارُ (العُمْرِ / العَصْرِ)
يُخلّينا جوقةَ مشدوهينَ ،
ولا نصحو .

وَمَدينتُنا مِنْ غير مُعارضةٍ

تُقْفِلُ أضلُعَهَا...
ما أوْدَعَها !!
ما اوْدَعَها !!
يحكُمُها الرّاقِدُ في النّاووسْ .

*

دُكّي الأسوارَ مدينَتَنا ..
وأفيقي منْ خَدَرِ التّاريخِ
وثوبِ الطّاووسْ .

(آب ١٩٨٨)

هذي العبثية...!

حَجَرٌ ثورٌ طَحّانْ...
الثّورُ يدورْ
ورحى الطّاحونِ تَدورْ .
وتدورُ الأيّامُ
تدورُ الأعوامُ ،
ولا شيءَ جديدٌ .. لا شيءْ:
.... حجرٌ.... ثورٌ طحّانْ
حجرٌ ثورٌ طحّانْ
حجرٌ ثورٌ طحّانْ.....

هذي الدّائرةُ الأبديّةُ ،
هذي العَبَثِيَّةُ ،

هذي الآباد القهريّةُ
كَمْ تَتَراكمُ في صَمْتِ الرّوتينِ ،
وبِئْرِ النّسيانْ .

*

وَقَفَ الثّورُ
يُعذّبُهُ الغَضَبُ النّاقِعُ في عينيهِ ،
ورائحةُ الإذعانْ .
- هاتي يا بنتُ المُديَةَ ..

هاتي المُديةَ ... !!
صاحَ الطّحانُ بأعْلى صَوتْ .
رائحةُ الرّفْض تَسُدُّ خياشيمَ الزّمنِ القَهْرِيِّ ،

وتثقُبُ جُمْجُمة الذُلِّ ،
تفضُّ عَفافَ الصَّمْتْ .
- هذا الثّورُ الأهبَلُ ،
قرَّرَ أنْ يكسرَ روتينَ الأيّامِ ،
ولو بالموتْ !!

(آب ١٩٨٨)

لوط يبكي زوجته ..

(ونظَرتْ امرأتُهُ من ورائهِ فصارَتْ عَمودَ مِلح..)

(تكوين: ٨، إصحاح١٩)

تقولينَ حُبِّي يفوقُ الخيالَ
وحُمّى التّردُّدِ والإنْفِعالْ .
فسيرى إذاً نحو رَحْبِ الفضاءِ ،
وسِحْرِ السّنا ،
هناك يُعانقُ دِفْءَ الحياةِ بخورُ الإلهِ ،
ارتعاشُ المُنى ...
لماذا ارتعاشُكِ ؟!

ماذا اضطرابُكِ ؟! شُدّي الخُطى ...

أراكِ كما كُنْتِ - بَين اندحارِ الجليدِ ،

وَعُنْفِ اللّظى ..

وتدرينَ أنّي عشقْتُكِ مِثْلَ اعْتِناقي الحياةَ ،

ومِثْلَ انتظارِ الغريبِ قطارَ الرّجوعِ

وَهَوْلَ القضا ..

وألْقاكِ في مَهْمَهِ الشرِّ ،

ألْقاكِ ..

لا القلبُ يهدأُ عندَ اللّقاءِ ،

ولا العينُ تدمعُ دَمْعَ الرِّضا

لَكمْ قلْتُ .. هل تذكرينْ ؟!

لَكَمْ قلتُ في خَفْقَةِ العاشقينْ :

تَمَرَّيْ بعينيَّ ،

هذا الغرامُ الإلهيُّ ..

هذا الغرامُ الدَّفينُ حَصَادُ السِّنينْ !!

تَعالَيْ ..

ولا تَنْظُري للوراءِ ،

فملْحُ سدوم كريهٌ ،

ثقيلٌ على فُوهَةِ الجُرْحِ .. هل تُدْرِكينْ ؟!

وكُلِّي جراحٌ ..

وما أنْتِ ؟!

ما أنْتِ يا نفحةَ الياسمينْ ؟!

تَلَفَّتُّ ..

بئْسَ العِنادُ ،

هجرْتِ الفؤادَ

وخُنْتِ الوَدادَ ..

أيا زَهْرةَ المِلْحِ... أبْكيكِ ..

آبْكيكِ ..

أبْكيكِ ..

دمعي سِحابٌ

صلاتي حَزَنْ .

وعُذْرُك عندي

بِأنَّكِ مُتِّ .

وعيناكِ نجمان خلف ضباب الدُّخانِ ،
وقلبُكِ يَلْثمُ جَمْرَ الوَطَنْ !!

(تشرين الأوّل ١٩٨٨)

* لوط: من الحُنفاء .. ابن أخي إبراهيم الخليل .. جاء في التوراة أنَّ امرأتهُ قد تحولت الى شخص من الملح لأنّها نظرت إلى الوراء عند خروجها مع زوجها لوط من سدوم وطنها الذّي أحبّتْهُ رغم ما فيه من شر وفساد.

هي وصمت العاشق

تُحَدِّثُني عن الماضي ...
تحدّثُني بكُلِّ الشَّوقِ ،
بالتّفْصيلِ ،
لا تنسى .
كأنَّ كلامَها مُنزَلْ .
تُذكّرُني بعين الماءِ إذْ شهدَتْ
ولادة حُبِّنا الأوّلْ
وكيفَ صرختُ في جَزَعٍ
قتيلُكِ يا مُعذّبَتي ..

غرستِ السَّهْمَ في المَقْتَلْ !!

تحدّثُني عن الماضي..

وعن قُفطانيَ الكُحْليِّ ،

عن فستانِها المُخَمَلْ .

وكم ليلٍ قضيناهُ

يُخبِّئُنا بِجِنْحَيْهِ

ويحرُسُ حُبَّناالأَنْبَلْ .

وَعَنْ قُبُلاتِنا الأُولى

على عَجَلٍ قطَفناها

وراءَ السُّورِ لَمْ نَخْجَلْ .

تُحدِّثُني ..

وَمِنْ حين الى حينٍ تُهدْهِدُني..

وتنهرُني ..

وأبقَى مُطبق الشّفتينِ ،

والعينينِ ،

لا أسْلي ولا أسألْ !!

ولكنْ ضحكتي الصّفراءُ تخنُقُني

وتصدعُ رَأسيَ المُثْقَلْ .

لماذا تعصُرين القلبَ يا ليلى ؟!

لماذا تَمزُجينَ الشّهْدَ يا لَيْلايَ بالحَنْظَلْ ؟!

دعي الذكرى

وهيّا نَملأِ الأقداحَ ،

فالآتي هو الأفضَلْ ،

وما الانسانُ يا ليلى رُؤَى ماضٍ

ولكنْ حُلْمُ مُستقبَلْ .

بكتْ ليلايَ في صمتٍ

وفي صمتٍ سمعْتُ الرّيحَ تشكو من تنُّهدِها –

عسى الأيّامُ تُنسينا مواجعَنا

فقد جفّتْ مدامِعُنا

وليتَ القلبَ لم يَهْوَ ولم يَسْألْ .

وَلَيْتَكَ يا عزيزاً ذلَّ لَمْ ترحَلْ

ولم تقبلْ بهذي الغربةِ الحمقاءِ ،....

هذي الغربةُ الحمقاءُ لا أشقَى ولا أثقَلْ !!

فآهٍ مِنْ مرابِعِنا
تركناها ..
ولكنْ خلفَ أضلُعِنا .
وآهٍ من رياحِ البُعْد تذرو غيمَ ذاكرتي
.. وهلْ يُعْقَلْ ؟!
فمهما تعصفِ الأنواءُ ،

يبقَ القلبُ مشدوداً لذا الوَطَنِ
كشدِّ الخيْطِ بالمِغْزَلْ .

(تشرين الأول ١٩٨٨)

مَن أَنْتِ .. ؟!

مَنْ أنْتِ .. ؟!
ما تبغينَ من حُطام قلبيَ النَّثيرْ ؟
ألمْ ترَيْ لافتةً حمراءَ تَحْظَرُ المرُورْ ؟
وتَدْخُلينْ .. !
وَتَنْبُشينَ سِرِّيَ المدفونَ في غياهبِ القُبورْ
وتنسُجين قِصَّةً
مِنْ ألفِ ألْفِ عامٍ
حولَ نفسِها تدورْ :

أميرةٌ جميلةٌ..

وعاشقٌ فقيرْ.

وَدَفْقَةٌ من لاعج ونورْ .

مَنْ أنتِ يا حزينةَ العينينِ ،

مَنْ رماكِ كي تُحرِّكي سحابةَ الجنونِ ،

في فُؤاديَ المدفونِ في مَهامِهِ الضَّجَرْ

وَتُومئينَ ..

يسقُطُ المَطَرْ .

وتأمُرينَ ...

يُورِقُ الشَّجَرْ .

وتَبْسِمينَ ...

يختفي القَمَرْ .

وتَعْبِسينَ ...

يهجُمُ القضاءُ والقَدَرْ .

مَنْ أنتِ .. يا الْتَنامُ في عَيْنيَّ ،

رعشةً على وَتَرْ .

مِنْ أيِّ عالمٍ أتيْتِ ،

ما تُؤمِّلينَ مِنْ مُغامرٍ ،

إِذا دعاهُ قلبُهُ ،

يسيرُ كالمجنونِ طائعًا على الأثَرْ ..

لو كُنتِ مِنْ مدائِنِ الإيمانِ ..

إِنّي مُؤْمِنٌ ..

أو كُنْت مِنْ مدائِن الإلْحادِ ،
إنّي مُؤْمِنٌ وقد كَفَرْ .

(كانون الأوّل ١٩٨٨)

تمرين في خاطري ...

تَمُرِّين في خاطري بهجةً نافِحهْ .
تمرّينَ مِثلَ انْعِكاسِ المرايا ،
ومِثْلَ انْطِفاءِ الظِّلالِ ،
وصَيْد مَحارِ المُحالِ ،
وفي القَلْبِ مَهْدُكِ/ لحْدُكِ ،
صَمْتُ الغرام الكثيفِ دِثارُكِ
أنْتِ وأنبوبةُ القَلْبِ صِنوانِ ،
أنْتِ على بُؤْبُؤِ العينِ ضِدّانِ ،
يا دَمعة حُلوةً / مُرَّةً / مالِحهْ .

أُحِبُّكِ وَجْهَ الصّباحِ الشّفيقِ الرّقيقِ ،

ونهداكِ لونُ العقيقِ

وشَعْرُكِ ليلُ الشّريدِ يطولُ .. يطولُ ..

ويُسبِلُ سِتْراً على مَرْمَرِ الجيدِ ،

والبيدِ

واللّهفةِ الفاضِحَهْ .

بلادي ... بلادي ...

تَشهّيتُكِ اليومَ شِلواً فَشِلْواً ،

وفي كُلِّ يومٍ كما البارِحَهْ .

أُصومُ وأنتِ فطوري ..

فكوني سَلامًا على جَمْرةِ القَلْبِ

كوني انْتِصاراً لحُبِّي المحاصَرِ
كوني انْتِظاراً لقلبي اليتيم .. الرّجيم ،
وكوني كما كُنْتِ مِنْ قبلُ لي لَذّةً جامِحَهْ .
هنالكَ قلبي على شَهْقَةِ الموتِ لَحْنٌ ،
وأنتِ هناكَ ... سبيَّةُ كُلِّ اللُّغاتِ ،
حقائبُ ..
صَمْتٌ ..
ضجيجٌ ..
محطّاتُ بَغْيٍ ..
مطاراتُ ...
وَجْهٌ يحطُّ

ووجهٌ يُهاجرْ
سَبيَّةَ كُلِّ اللُّغاتِ !!
اجْمَعيني بقايا مُحاربْ .
وهّيا ارْجُميني بثورةِ عِشقِكِ خَلْفَ المضارِبْ
على صدرِكِ البكْرِ أبكي ،
وبين انْفِراجِكِ دَفْقُ الحياة
يشدُّ انْتِمائي اليكِ لهيباً يُقطِّرُ نُسْغاً ..
فنامي - رعاكِ الإلهُ الكَبيرُ -
وقومي انْتِشاءً .. ونامي ..
وقومي .. ونامي على شَهْوَتي / عِفَّتي زَفْرةً لافحهْ
تُمرّين في خاطري رَعْشةً ،

نسمةٌ سانِحهْ

قتيلُكِ يحفِرُ قَبراً

ويرقُدُ تحتَ الصّفاةِ

يهيلُ التُرابَ ..

يُصلّي .. يُكَبِّرُ .

يرثي الشّبابَ

وهذا الشّريدُ الطّريدُ الشّقيُّ يموتُ ..

وإنّي الشّريدُ ،

وإنّي الطّريدُ الشَقيُّ

فَتَحْتَ التراُّبِ شقيٌّ

وفوقَ التّرابِ شقيٌّ

ويومَ الحساب شقيٌّ
أُقابلُ وَجْهَ العليِّ شهيدَ هواكِ
فيرقصُ ميزانُ حَظّيَ ،
يميلُ ويهوى على كِفَّةٍ راجِحَةْ .
..... فإمّا مَرَرْتِ بذاكَ المكانِ
فجودي بلَحْنِ الوفاءِ وقولي :
هُنا يستريحُ جنونُ الجُنونِ
وشُدّي يديكِ على صفحةِ الخَدِّ واللّحْدِ ،
ولْتَقْرإي الفاتحهْ !!

(نيسان ١٩٨٩)

تـمنـي على القلب . . .

تَمَّني على القَلْبِ ما تبتغينْ.
فعندي مفاتيحُ كُلِّ الكُنوزِ،
وعندي مغاليقُ كُلِّ الرّموزِ ،
وعندي عُصارةُ كُلِّ الفُصولِ ،
وخَمْرُ اصْطِباري الطّويل .. الطّويلِ ،
وأَرْيُ السّنينْ
صحاراكِ عطشى وماءُ الحياةِ لَدَيَّ ... لماذا ؟
لماذا انْتحارُكِ هذا
لماذا انْتِظاري ..
كِلانا شبابٌ

ولحنُ الحياة قصيرُ اللّهاةِ ،
ضعيفُ الوَتِينْ .
سَبِيَّةَ كُلِّ الغُزاة
وشَوْكِ الفُصولِ الهجينْ
تَشُدِّين حول فُؤَادي الحصارَ
وقلبيَ طيرٌ إذا طافَ يبغي الفِرارَ ،
يفرُّ اليكِ ..
ويَهوي قتيلاً على ساعِدَيْكِ .
سبِيَّةَ جَيش المغولِ الأخيرِ
أيا مَحْبِسَ القَلْبِ
هَلاَّ رأيتِ طُيوراً تُحِبُّ القيودَ
كطيري السَّجينْ ؟!
أُحِبُّكِ صَمْتاً يفوق هدير الحياةِ

وأعشقُ فيكِ اغْتلامَكِ
حينَ يُحرِّك فيَّ اغْتِلامي
وأُمقُتُ فيكِ الولاءَ لذاكِ الرِّباطِ الهجينْ.
فثوري على البَعْلِ يا أُختَ كنعانَ
يا فِتْنةَ العاشقينْ .
وقولي جِهاراً .. أُحِبُّ حبيبي .. هناكَ
فَخُذْني إِليكَ اشْتِهاءً - حبيبي
وخُذْني إِليكَ اكْتِساءَ النّسيم شذاَ الياسمينْ
وقولي : إِليَّ ..
أَجِئْكِ انْبِهارَ الفَراشِ اللّعوبِ
بِسِحْرِ اللّهيبِ ونار المُجونْ
وأَهتِفُ فيكِ : تَعَرَّي ... !!
فَإِنّي الرِّداءُ ..

خُذيني دِثاراً لِعُرْيكِ / طُهْرِكِ / أسْرِكْ .
أعيدي انْتِمائِي لصدرِكْ
وشُدّي ارْتِخائِي ..
أعيدي إليَّ رجائي
خُذيني بِحَقِّ الهوى والجُنُونْ
خُذيني رغيفَ الطّريقِ الطويّلِ ..
وشُربةَ ماءِ العليل
خُذيني الشّريكَ المؤبَّدَ
إنّي الوفيُّ الأمينْ
دَعيني أُقاسِمْكِ هذا السّوادَ
فَمِنْكِ الغرامُ التّليدُ / الطريّفُ
ومِنّي الشهادةُ إذْ تَطْلُبينْ

(أيّار ١٩٨٩)

تهليلة الى طفل لا ينام . . .

عادَتْ عصافيرُ المساءِ
وأنتَ وَحْدَكَ لم تَعُدْ
أوغلْتَ في الفولاذِ يا حَبَقَ الطفُولةِ ،
واسْتَرحْتَ ..
فضاق صَدري بالرَّبيع ،
وبالجوادِ الكهْل وانْتَحَرَ الجَسَدْ .
هل غادرَ الأطفَالُ أحْضانَ النِّساءِ
فَرُحتَ تركضُ نحوَ حَتْفِكَ ،
رُحْتَ تركضُ

هل أضَعْتَ الصُّبحَ يا رَمْلي، أنا الصّحراءَ
هل قلبي غفا في عَتْمةِ الجُرحِ الطَّرِئِ وضَيَّعكْ.
نَم يا حبيبي حيثُ أنتَ
وكيفَ أنتَ..
وشُدَّ ناصيةَ التُّرابِ
ومُضَّ جُرْحاً أرْضَعَكْ
واحْمِلْ فُؤادي جَمْرةً
فالبَرْدُ يَنْهشُ أضْلُعَكْ
نمْ يا حبيبي ..
فالعصافيرُ الصّغيرةُ جَمَّعَتْ أحزانَها
وأتَتْ لتَحْرُسَ مَضْجَعَكْ

يا واهبَ الأحلامِ
والأحزانِ
أوْجَعَني الفَراقُ
فَهَلْ فراقي أوْجَعَكْ ؟!
ماذا أقولُ وقدْ رسمْتُكَ في الخيالِ المَرْمَرِيِّ
وجاءَ مِنْ بعدي الرَّبيعُ فأبْدَعَكْ
قَدْ قَبَّلَتْكَ شقائقُ النُّعمانِ في شَفَتَيْكَ
أخْجَلَها العِناقُ المُستَطيلُ وأخْجَلَكْ
وأتى النّسيمُ بما يشاءُ مِنَ الرّحيقِ وَغَسَّلَكْ
والفَجْرُ أقْبَلَ حامِلاً ميلاً ،
ومُكحُلةَ الحياةِ وكحَّلَكْ

وأتتْكَ أسرابُ الفَراشِ المخْمليِّ

فعانقَتْكَ

ووَشَّحَتْكَ وِشاحَها

وَجَثَتْ تُلَمْلِمُ في خُشوعٍ أدْمُعَكْ

ما أرْوَعَكْ ..!!

يا أيُّها الحَسّون لا تَضْرِبْ جَنَاحَكَ عالياً/

زَجَرَتْكَ أمُّكَ وهي تَقْرأُ طالِعَكْ .

أخشى عليكَ مِنْ الرِّياحِ - تقولُ -

اخشى مِنْ عيونِ الحاسدينَ

أذا رأتْكَ (بما مَعَكْ)

أخشى عليكَ مِنَ البَواشِقِ ،

والبَنادِقِ ،

أنْ تراكَ كما أراكَ،

فَتَعْبُدَ البدويَّ فيكَ وتَتْبَعَكْ

ما جئْتَ هذا العالَمَ الارضيَّ الاّ كي تَعيشَ/

فَعِشْ بما يُرضي طفولَتَكَ الجَديبَةَ

مِنْ ملابِسَ تَشْتَهيها ليلةَ العيدِ الكبيرِ

وخُذْ حذاءً لَمْ تَرِثْهُ عن أخيكَ البِكْرِ

خُذْ فَرَحَ الحياةِ عصيرَ ليمونٍ

وفاكهةً وَحَلوى ...

هاجَني شوقي إليكَ الآن يا فَرْخي القَتيلْ

فمتى تعودُ ،

وأينَ أنتَ الآن يا نَهْرَ امْتِدادي في دَمي ،

وصهيلَ أغنيتي ،

ويا بُرقوق أحْزاني الجميلْ

ما جئْتَ هذا العالمَ التّحتيَّ الاّ كي تعيشَ /

فَعِشْ حياتَكَ ،

خُذْ فُتُوَّتَكَ الرّحيبةَ ،

عُصبَةَ الفِتيان تملأُ رَدْهَةَ الدُّنيا أناشيداً

وَشَيْطَنَةً ،

وأحلاماً مُلوَّنةَ الجوانحِ والقوادِمِ

تُعْلِنُ الرَّفضَ المُؤَبَّدَ ،

لانْتِحارِ الزّنبقِ المحكوم بالإِعدامِ رمياً بالعَطَشْ .

وتُريدُ أنْ تحيا بغائلة العَطشْ ..

وتريدُ أنْ تحيا .. وهذا النَّهْرُ ،

أضْجَرهُ انْتِظارُ الفَجْر والمَطَرِ الجَزيلْ .

يا فارسي المغدورَ ،

مُنْتَصِراً تنامُ على الجوادِ/جوادِكَ المهزومِ

أثْقَلَهُ التَّنَقُّلُ والرَّحيلْ .

وتريدُ أنْ تحيا ...

فأينَ الماءُ يا غَيْماً تحوَّلَ فوقَ (مبكاهُمْ) ،

مزاميراً مُدَجَّجَةً ،

وألْقَى حِمْلهُ النّاريَّ فوقَ جِراحِ غَزَّةَ ،

واسْتحَالَ دَماً وأمْطَرَ في ذُرى عِيبالَ ،

أمْطَرَ في الخليلْ .

نَمْ يا حبيبي ...

قَبْلَ أنْ تأتي الرِّياحُ فتأسِرَ النّايَ الحزينَ

وَتَخْطَفَ اللّحْنَ الخريفيَّ العَليلْ .

نَمْ يا حبيبي ..

خطفوكَ مِنْ فَرَحِ السّنابِلِ ،

والجداول ،

واخْضِرارِ القلْبِ

والأمَلِ المُعانِدِ حُزنَ أُغنيتي

وجاؤُوني بِبَسمَتِكَ الأخيرةِ ثُمَّ غابُوا

يا أيُّها الزّجَلُ المهاجِرُ

خذْ سوادَ العين واترُكْ مَطْلَعَكْ .

كَمْ كُنْتُ أَهْوى في حياتِكَ أَنْ أَراكَ

وها أنا

قد صِرْتُ بَعْدَ فراقِكَ القَسْريِّ أَغْفُو ..

ثُم أَغْفُو .. ثُمَّ أَغْفُو ..

كي أَراكَ واسْمَعَكْ .

(آذار ١٩٩٠)

كيمياء البنفسج

ها أنا أنتحرُ الآنَ لأنّي
عاشِقُ الوَرْدِ
وشَوْكُ الورد ظمآنُ
ولمْ يشربْ جُنوني
وأنا أعترفُ الآنَ بأنّي
قاتلي قلبي ،
وقلبي طاف يَبغي لدغةَ النّشوةِ أيّاماً ،
وأعواماً ،

ولمْ يلْقَ سِوى لدغةِ الوَهْمِ ،
وأنيابِ الظُّنونِ ..
أنتَ مِنِّي
وأنا مِنْكَ .. فَخُذْني
يا صهيلَ الوَرْدِ واسْتَهْلِكْ على مَهْلٍ شُجوني
أنتَ مِنِّي ..
يا أريجَ الوَجْدِ ،
يا ضوءَ الصّباحِ البِكْرِ ،
يا فَأْلَ التّمنّي
وأنا مِنْكَ فخُذْني
قُبْلَةً حمراءَ للمَجْدِ .. وَخُذْني

ثَوْرَةَ النَّهْدِ .. وَخُذْني

مَيْعَةَ الزَّيتونِ

خُذْني ..

نَرجِسَ الجِنْس وميلادَ رُجولَةْ .

وَامْتَلِكْني شَبَقاً يَطفو على قُبَّعَةِ الموتِ ،

وَصَمْتِ اللَّحْدِ .. إنّي

مُدمِنُ الجِنْسِ توارى

تحتَ فُولاذِ الكُهولَةْ .

أينَ مِحراباكَ ؟! أدْخِلْني ..

فإني سادِنُ النّارِ

تَقَبَّلْ شَهْوَتي وَاغْفِرْ صِيامي .

يا بديعَ الحُسْنِ
يا ذَوْبَ الرُّخامِ
أشعَلَتْ نارُكَ نَاري
فاحْتَضِنّي
واخْتَلِطْ فيَّ أزاهيرَ وعوسَجْ ،
وانْتَظِرْني
أختلِطْ فيكَ مزاميرَ ،
كِلانا ،
عاشقُ الأرضِ وكيمياءُ البنفسَجْ ،
واخْتَزِلْني ...
قَبْلَ أن تجري حُبَيْبَياتُ الخطايا في مَسامِي ،

حال دونَ القَلْبِ والقَلْبِ ،
امتِدادُ الأزرقِ الفِضِّي أسلاكاً ،
وأشواكاً ،
وجيشاً من رياحٍ ،
يَنْثُرُ الأحلامَ أشتاتاً ،
يُذَرِّيها وَيَحْتَلُّ عِظامي .
وَلَكَمْ أبْحَرْتَ في شِرياني المَثْقوبِ
يا مَلاّحِيَ المحكومَ بالتِّيهِ
وَهَيَّجْتَ حنيني
آهِ يا حُلْماً تُذرِّيهِ رياحٌ
مِنْ أنينِ

أنتَ منِّي

وأنا مِنْكَ ..

فإنِّي

عاشقُ الوَرْدِ

وشوكُ الوَرْد ظَمْآنُ

ولَمْ يَشْرَبْ جُنوني ..

أنتَ مِنَي ..

(نيسان . ١٩٩)

لماذا تموت الفراشات ..

يُطاردُ لَيْلى الحزينَ نُعاسُ الحكايا
ويذوى الفُؤادُ
كَخَوْخِ الهجيرِ
كحُلْم الفقيرِ
ويهوي شظَايَا
وأهوي على جُثَّة الليّل ، ليلي الأخيرِ ،
وأبكي بُكاءَ الأميرِ
أُعانقُ نفسي

ونَفْسي تعانقُ مِلْحَ الخطايا
وأطلُبُ وُدَّ الرّياح ..ألِحُّ .. ألِحُّ ..
أريدُ الرّياحَ مَطايا
إلامَ تُحاصِرُ حُبّي الكبيرَ عيونُ البنادِقْ ؟!
أُحبُّكِ ..
إنّي أُحبُّكِ حُبّاً كبيراً ..
كبيرًا ..
كبيراً ..
وأَجزعُ حينَ يُشاعُ بِأنِّيَ عاشقْ .
وأنقُشُ رَسْمَكِ وَشْماً على شُرفَةِ القَلْبِ ،
وَشْمَاَ ضئيلاً ،

وأبكي كَطِفْلٍ أزاحوهُ عَنْ ثَدْيِ أُمٍّ ،
وقد سالَ مِنْ راحتيهِ أريجُ الحدائِقْ ،
وَدَاعاً ..
وطيفُكِ زَوّادةُ الدَّرْبِ
أطوي المسافاتِ
أبْحَثُ عن صوتِكِ العَذْبِ
أبْحثُ ..
أصرخُ ؛ أمّاهُ .. أمّاهُ ...!!
يأتي الصّدى مِثلَ رأسِ الشّبَاةِ ،
يُمزّقُ وجهي
وَيَفْتَحُ عيني على عالَمٍ ليسَ مِنّي ..

لكَ الغَرْبُ !

يصرخُ فِيَّ الموَظَّفُ

يُصدِرُ ڤيزا انْتِحَاري ..

ـ لكَ الغَرْبُ ..

والعالمُ الرَّحْبُ والأُمْسِياتْ .

وذاكَ الثَّراءُ المُثيرُ

مِنَ الآنَ أنتَ مَليكُ السُّيولةِ ،

والعُمْلَة الصَّعْبَةِ ،

البورصَةِ ..

الأسهُمِ ..

الرِّبْحِ

.. والبَذْخِ ..

أنتَ الغنيُّ القويُّ

تُبَدِّلُ كالجورَبِ الرَّثِّ سيّارةَ (الرولزِ) ،

والفاتناتْ ..

تركْتُ فُؤادي أمامَ مَناديلِ دَمْعِ التّذاكرْ ،

حملتُك (يافا) حقيبةَ حُبٍّ مُسَافِرْ ،

ودمعةَ طيرٍ مُهاجرْ

حملتُكِ أنشودةَ الصُّبْحِ للعاشقينْ ،

حملتُك أرجوحةَ الياسمينْ

أيَا جَنَّةَ الشَّوكِ والجُلّنارْ .

حَمَلتُكِ صرخة لَيْلٍ طويلٍ طويلٍ

وَصْمتَ نهارٍ ثقيلٍ ثقيلٍ ،
وألفَ انتحارْ .
لماذا تموتُ الفراشاتُ
تذوي الأمانيُّ
والأُغنياتُ ،
تسيلُ العُيونُ خِداعَ مَرايا
على مَذْبَحِ الإنتظارْ
أنا السِّندبادُ الطّريدُ الشّريدُ
وأملِكُ كُلَّ كُنوز البراري ،
وكُلَّ كُنوزِ البحارْ .
وأبكي اشْتِياقاً ولا أسْتَكينُ

يظلُّ الفُؤادُ كثيرَ التّشكّي-
كناريٍّ يخشى انْطِفاءَ الحياةِ ،
وأنْتِ الحياةُ
وأنْتِ نهايةُ كُلِّ البِدايات ،
كيفَ الوصولُ إليْكِ
وخيلي خُيولُ انْكِسارْ !!
وكيفَ الوصولُ اليْكِ
وأنتِ حَظِيَّةُ أيّارَ منذُ زواجِ السِّفاحِ
ومُنْذُ اغْتِيالِ النّهارْ .
أجِيئُكِ شِبْهَ دِثارٍ ،
وطَقْسَ انْتِحارْ

خُذيني إِليكِ .. خُذيني ..
لَعَلَّ انْتِحاري على ساعَديْكِ انْتِصارْ.

(نيسان . ١٩٩)

أخذت السندس ..
فاترك شيئا من دمي ..

وحدثَ إذ كانا في الحَقْلِ أنَّ قايين قامَ على هابيل أخيه وقَتَلَهُ. فقال الرَّبُّ لقايينَ أينَ هابيلُ أخوكَ ؟! فقال لا أعلمُ، أحارسٌ أنا لأخي؟ فقال ماذا فعلتَ؟ صوت أخيكَ صارخٌ إليَّ مِنَ الأرضِ، فالآن ملعونٌ أنتَ من الأرض التّي فتحت فاها لتقبلَ دم أخيكَ من يدك، متى عملت الأرضَ لا تعودُ تُعطيك قُوّتها، تائهاً وهارباً تكونُ في الأرض. - تكوين إصحاح ٤ -

دَفْقٌ مِنَ الصُّبحِ المُطلِّ يُضيءُ في صَدْري
فيشتَعِلُ الفُؤاد ،
أصيحُ: يا أهلاً بموتٍ لَمْ يُفاجئْني ،

وقَدْ شَرِبَ الأحِبَّةُ نَخْبَ سوسنيَ القتيلْ .

اليومَ دورُكَ: صاحَ قُمريٌّ على سَفَرٍ ،

وقبَّلَني على شفتيَّ في شوقٍ

وناوَلَني الصَّباحَ/ فطوريَ السِّرِّيَّ ،

بايَعَني

وودَّعَني ..

وَحَمَّلَني الرِّسالةَ في الهديلْ ،

ما أنتَ آخرَهُمْ ،

وقافِلةُ العذاب تسيرُ مِنْ لَيْلٍ الى لَيْلٍ ،

وتحترفُ الشَّهادةَ والرَّحيلْ .

يا أيُّها الطاووسُ مزهُوّاً تسيرُ على رموشِ العينِ

والخدّيْنِ ..

مَزْهُواً تسيرُ /

وذيلُكَ الفِضِّيُّ في رِئَتي ،

وترفُلُ فوقَ خارطتي ،

حَساؤُك نقعُ آلامي ،

وخمرتُكَ العنينُ .

لا بَأسَ ..

فاحْمِلْ وِزْرَ جُلْجُلَتي وَصَلْبي

أيُّها المفتونُ في شكلي

وفي لوني

ولونِ السُّندُسِ القُدْسيِّ ،

مغدورٌ شبابُ الفَجْرِ ،
أنْتَ القاتلُ المأجورُ يَوميًّا
أخذْتَ السُّنْدُسَ القُدسِيَّ فاتركْ لي دمي ...
أو شئْتَ فاتركْ أيَّ شيءٍ مِنْ دَمي .
أو شِئْتَ فامْسَحْ كُلَّ آثار الجَريمةِ - لا يَضيرُ -
هناكَ شاهدةٌ يخبِّئُها الصَّبَاحُ المُرُّ ،
ما بينَ الثّنايا عندها الخَبَرُ اليقينُ ،

*

أثقلْتَ يا أيّارُ قامَتيَ المديدةَ بالجراحِ ،
جَعَلْتَ أُغنيتي عصافيراً مهاجرةً
وأيّامي وِشاحا مِنْ ظلامْ .

بالغْتَ في لُبْس السّوادِ ،
وَزِدْتَ لَونَ الأُرجوانْ
فاحْمِلْ سوادكَ وارْتَحِلْ
واحْمِلْ غمامَ الأُرجوانْ .
وإذا رجعْتَ فَجِئْ مزاميراً مُعطَّرَةً
وسِرباً مِنْ حَمامْ .
أنا لم أُخُنْكَ .. فخنتَني ..
ومددْتُ قلبي للسّلامِ، فما مددْتَ ...؟!
نزعْتَ شرياني ،
وحاصَرْتَ القصائدَ واليمامْ .
وتناثرَتْ حَبَّاتُ أُغنيتي على الطُّرقاتِ ،

صارَ نشيديَ الوطنيُّ أحلامًا مُوردَةً -

فَراشاً ناعِمَ الأطرافِ،

أنْهَكَهُ التَّنقُّلُ والرَّحيلُ ،

يَرفُّ لا زَهَرٌ ولا حَجَرٌ

يقولُ: قد انْتَظَرْتُكَ هَهُنا .

فأعِدْ لجُرحي بعضَ ذاكرتي

وشَيئاً مِنْ حنينِ الأهْلِ أفْرشُهُ ،

وَسَقْفاً كي أنامْ .

أنا من رَعَاع العالمِ الحَضَريِّ

آكُلُ لُقْمتي عَرَقاً

وضوءُ الفَجْر يمسَحُ جبهَتي
ورنينُ ساعتيَ المُنَبِّهُ يسحبُ النّومَ الثّقيلَ ،
أهبُّ منتصباً ،
وأغسِلُ راحتَيَّ ووجهيَ المسفوعَ باسْمِ اللهِ ،
زادي في يدي
وزفيرُ أطفالي وَوَجْهُ حبيبتي أمَلاً يُلاحقُني ،
فَأحْتضِنُ الحياةَ ،
أعبُّ مِنْ عِطْر الصّباح كما أشاءُ ،
وأستعيدُ شابيَ المسلوبَ في مَرَحٍ ،
أبُثُّ جميعَ أحلامي الصّغيرةِ والكبيرةِ
ضحكةً جَذْلى

وأهمسُ للنّسيم بما يُخبِّئُهُ الفُؤادُ مِنَ البياضِ

فلا يُكفِّنُهُ القَتَادُ

ولا يُسجّيهِ الرّمادْ ،

ألْهَانيَ النّزْرُ النّزيرُ مِنَ الحياةِ ،

نسيتُ أنَّ حمائمي هَدَفٌ لِعَيْنِكَ والزِّنادْ !!

قايينُ أينَ أخوكَ هابيلٌ ؟!

بماذا تُسْكِتُ الأجراسَ في أُذُنيْكَ ،

أو صَخَبَ السُّؤَالْ ؟!

قايينُ هذي راحتي بيضاءُ

فانْظُرْ راحتَيْكَ وساعدَيْكَ ،

ووجَهَكَ المَعْروقَ مِنْ هَوْلِ الضّلالْ.

ماذا تقولُ إذا أطَلَّ فُؤادُكَ الوَثَنيُّ ،

مِنْ خَلْفِ المرايا ؟!

أتقولُ غافَلَني عَلَى خُبْثٍ ،

وقدَّمَ مِنْ ثمارِ الأرضِ قُرباناً وَحَمَّلَني الخطايا ؟!

ماذا تقولُ وقلبُكَ الحجريُّ أطلالٌ ،

وَأشباحٌ مِنَ الحِقْدِ الرَّجيمْ ؟!

أنا ما قتلْتُ ولا زَنَيْتُ ولا سرقْتُ ...

وأنتَ تُوغِلُ ثُمَّ توغِلُ كُلَّ يومٍ في دَمي .

فَاخْرُجْ مِنَ الرّوحِ الدَّميمَةِ ،

وَاخْلَعِ الوجْهَ الدَّميمْ .

أنا لا أريدُ مِنَ الحياةِ سوى الحَيَاةْ!!

وتُصرُّ أن تمتصَّ أحلامي

وأيّامي .

وعِطْرَ حبيبتي شَفْعاً ،

وهذا العالمُ المأفونُ / ناطورٌ ينامُ معَ الدَّجاجِ ،

ينامُ لا يصحو ..

ويصحو .. ثُم يَغْلِبُهُ النُّعاسْ .

ومدينتي سِجْنٌ وسجّانٌ ومسجونٌ ،

وقَلْبٌ مِنْ نُحاسْ .

أنا لا أُريدُ مِنَ الحياةِ سوى الحياةْ !!

فَلْتُعْلِنِ النَّارُ المقدّسة اُعْتِرافاتِي ،

وَصَرختِيَ الأخيرةَ يَوَم ذبحي ..

- دَمّي يطاردُكُمْ ..!!

فأينَ تفرُّ يا لَوْحَ الوَصايا مِنْ دمي المطلولِ ،

كالسَّيْلِ العَرِمْ .

وَأنا البريءُ ..

وأنت مُتَّهَمّ ..

وإنّي أتَّهِمْ !!

(أيّار ١٩٩٠)

أنت سبيتهم .
وشعري نحيب العاجز ..

قَالَ: وكانَ في وقتِ المساءِ أنَّ داودَ قامَ عن سريره وتمشّى على سطح بيت الملك فرأى من على السّطح امْرأةً تستحمُّ. وكانَتِ المرأةُ جميلةَ المَنْظر جّداً.فأرسلَ داودُ وسألَ عن المرأةِ، فقالَ واحدٌ: "أليسَتْ هذهِ (بَثْشَبَعَ) بنتَ أليعامَ امْرَأةَ أوريّا الحِثّيّ؟ ".

فأرسلَ داودُ رُسُلاً وأخذَها. فدخلَتْ اليه فاضْطَجَعَ معها وهي مُطهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِها، ثُمّ رجعتْ إلى بيتها ..

قالَ: وفي الصّباح كَتَبَ داودُ مكتوباً الى يوآبَ وأرسَلَهُ بيدِ أوريّا، وكتبَ في المكتوبِ يقولُ: إجعَلوا أوريّا في وَجْهِ الحربِ الشّديدةِ، وارْجِعوا من ورائِهِ فيُضرَبَ ويموتَ.

قالَ: فلمّا سَمِعَتْ امْرأةُ أوريّا أنّهُ قد ماتَ أوريّا رَجُلُها

ندبَتْ بَعْلَهَا. ولَمّا مضَتِ المَناحةُ أرسلَ داودُ وَضَمَّها ألى بَيْتِهِ وصارتْ لهُ امْرَأةً وَوَلَدَتْ له ابْناً. وأمّا الأمرُ الذّي فَعَلَهُ داودُ فَقبُحَ في عينيِّ الرَّب.

(صموئيل الثّاني/ الإصحاح ١١)

هُنالكَ خلفَ ظِلالِ النّهارِ
تناثَرَ ضوءٌ كثيفٌ مُخيفٌ ،
وأسْبِلَ جَفْنٌ
وزقزقَ نَهْدٌ .. تنفَّضَ ،
فَتَّحَ وَرْدٌ ..
وسالَتْ دماءْ .
هنالِكَ حيثُ أطلّتِ الوقوفَ على شُرفَةِ القَلْبِ
قدُّكِ ذوبُ الرُّخامِ،

وعيناك مِسْكُ الختامِ
وثغرُكِ أنشودةُ الكبرياءْ .
لماذا وقوفُكِ بعدَ انْتِحارِ الصّبايا ؟!
لماذا وقوفُكِ فوقَ حُطامِ المرايا ؟!
وهذا الدّمارُ صليبُكِ .. هذا الدّمارُ ،
صَليبي الأثيرُ وقَفْتُ عليهِ طويلا ،
لماذا وقوفُكِ عندَ شُرودِ الرّياحِ
وهذي الجراحُ تُحدِّقُ فيكِ ،
تُحدِّقُ فيكِ قليلاً لِتَغْفو قليلا ..
أناديكِ لُؤْلؤَتي المشتهاةَ ،
وأعلمُ أنّكِ لَمْ تخرُجي مِنْ مَحارْ .

وأنَّكِ لم تسكُني في بِحارْ .
وأنَّكِ لم تسكُني غيرَ جُرحي .
لقد كُنْتِ لي ،
يومَها كُنْتِ لي
غَنيتُ بعينيْكِ ،
صَارَ نهاري قصيرًا بِقُربِكِ ،
ليلي قصيُر ..
وأركُضُ أركُضُ خلفَ نداءِ الحياةِ
لَبِسْتُكِ ثوبَ الحياةِ الطَّويلَ
وهَبْتُكِ كُلَّ خُيولِ دمائي
وذاكَ الصّهيلَ

وأسْلَمْتُ للنّار والنّورِ أمْرِي ،
هُنالِكَ خَلْفَ ظِلالِ النّهارِ
رآكِ المُعَظَّمُ كيفَ عَجنْتِ أريجَ الطُّفولَةِ
زادَ الرّحيلِ
وسِرْتِ ووجْهكِ يَشربُ ضوءَ الصّباح الجميلِ
وقدُّكِ يَرْشَحُ ماءَ الشّبابِ
وثغرُك حُلوَ الرُّضابِ
وتلكَ عيونُ البنادق حَوْلَكِ عطشى
وعينُ المُعظَّمِ تشربُ كُلَّ نساءِ المدينةِ ،
تشربُ عَبّاً ،
وتشرَبُ غَبّاً .. وتسقطُ عطشى .

فكيفَ وأنتِ بَخُورٌ ومِسْكٌ
وصيفٌ شهيُّ الثّمارِ مُوَشّى !!
وكيفَ النّجاةُ
وَحَظُّكِ أنَّكِ بين جواري المُعظَّمِ ،
شئٌ أثيرٌ يُثيرُ اشْتِهاءَ المُعظَّمِ
أنتِ تُساقين عُرسَ اغْتِصابٍ
وأوريًا يُحْمَلُ فوقَ رُؤُوس الرّماحِ ،
إلى ساحةِ الذّبْحِ ،
رُدّي جمالَكِ عَنْ مُقْلَتَيْهِ
فهذا الجمالُ الإلهيُّ سيفٌ يُعَمَّدُ في جانِبَيْهِ ..
- فديْتُكِ !

صاحَتْ دماءُ أوريّا الحزينِ

فديتُكِ قبلَ طلوعِ النّهارِ

وعند انْتِحارِ النّهارِ - فدَيتُكِ

أينَ الفِرارُ ؟!

وعشقُكِ أقْربُ مِنْ خفقَةِ القَلْبِ للقَلْبِ ،

كيفَ الوصولُ إليكِ

وأنتِ تَشُدّينَ رأسَكِ نحوَ السّماءْ ؟!

وترخينَ شَعْرَكِ أرجوحَةً لِلضِّياءِ ،

وشلاّلَ عِطْرٍ

وغاباتِ سِحْرٍ مِنَ الكَسْتَناءْ .

وكيفَ الوصولُ إليكِ وسيفُ الـمُعَظَّمِ.

تَحْتَ الوسادةِ يرصُدُ وجهي المُحَمَّلَ بُعْدَ التَّمَنِّي
وقُرْبَ الرَّجاءْ
سألتُك قَبْلَ الفَراقِ الأخيرِ
لماذا تُثيرينَ حولَكِ هذا الجُنونْ .
فَأَنَّى مَشَيْتِ
تَفَجَّرَ قَمْحٌ ،
وأزهَرَ صُبْحٌ
وحارَتْ عُيونْ .
تَعَقَّبَكِ الفَجْرُ كي يقطِفَ الضَّوْءَ ،
عنْ ثغرِكِ البِكْرِ ،
أينَ ترفُّ رموشُكِ .. عودي !!

فدْيتُكِ .. عودي ..

فَبَيْنَ هديلِ الحمام وبينكِ

بَرٌّ وبَحرٌ وبَرٌ وبَحرٌ...

... جيوشٌ ...

... طوابيرُ حمقى مِنَ الفاتحينْ .

*

طَغَى الأُرجوانيُّ

حاصَرَ جِيدَكِ

طالَ العِناقُ .. وطالَ

وسالَ دُموعَ ثكالى ..

طَغَى الأُرجوانيُّ

عامَ على الأُفْقِ
غامَ وأمْطَرَ دمعاً وناراً وأمواجَ طِينْ .
أيُعْجِبُكِ القَصْرُ ؟!
أمْ لِحْيَةُ البَغْيِ كَلَّلَها الغَدْرُ ،
أمْ مَهْرُكِ الحُرُّ مِنْ دَمِيَ الحُرِّ ،
كيفَ تُكالُ الدِّماءُ وتُدفَعُ مَهْرا ؟!!
ووجهُكِ نَجْمٌ بديعٌ ولكنْ بعيدٌ .. بعيدٌ ،
يُضيءُ قليلاً وَيَخبو
يُغيبُ قليلاً .. وَيَظْهَرْ .
سَئِمْتُكِ بينَ يَدَيِّ المُعظَّمِ
كأسَ نبيذٍ وقطعةَ سُكَّرْ .

وهذا الصّهيلُ / صهيلُ دمائِي ،

يُطاردُ جُنْدَ المُعظَّمِ جَهْرا ..

- قَسَوْتَ ..

تقولُ أميرةُ كُلِّ العصورِ

وَزَهْرَةُ كُلِّ الفُصولِ

تقولُ: قَسَوْتَ ..

وراحَتْ تُحدِّقُ نحوَ السّماءِ ،

تَغيمُ جِراحاً

وتُبرقُ .. تُرعِدُ ..

تُمطِرُ فوقَ الجراح جراحا ..

أَلَسْتَ تراها - دِماءَ أوريّا ؟!!

أراها تَقَمَّصُ طِفلاً
يَمُدُّ يَدَيْهِ
يُكوِّرُ وَجْهَ السَّماءِ
وكُلَّ الفضاءِ
وكُلَّ الأمانيِّ والأُغنياتْ
وأحزانَ زَهْرِ البنفسَجِ
والثّاكلاتْ ،
يُصوِّبُها نَحْوَ بَغْيِ الطُّغاةْ
ويقذِفُها ...
تِلْكُمُ الرَّمْيَةُ القاضيَةْ !!

(حزيران ١٩٩٠)

هي الارض ..
انـي وريـث الحجـر ...

هِيَ الأرضُ ..
قالَتْ لي الفراشاتُ همساً
وطارَتْ تُلاحقُ دِفْءَ الحياةِ
على شاطِىءٍ مِنْ رُفاتْ
وتلبَسُ لونَ الشّتاتْ
هي الأرضُ .. قالتْ .. وطارَتْ ..
وكانَتْ بشائِرُ موتٍ جديدٍ يُطلُّ
وهمسُ النّجيعِ يُشَقْشِقُ حيناً

وحيناً يَصِلُ ..

سألتُكَ لا تَقْطِفِ الوَرْدَ/
تلكَ جراحُ الأحبَّةِ تَلْعَنُ صَمْتَ الرِّياحِ ،
وثوبَ الحِدادِ ..
وَتَلْعَنُ دمعَ الرِّجال غزيراً يهلُّ -
أتبكينَ يا عينُ ؟! قالَتْ:
صَليلُ الأعِنَّةِ فوقَ الجراحاتِ هَجْرٌ وَوَصْلُ
وقالتْ: تقدَّمْ عليكَ الامانُ
هيَ الأرضُ خيرٌ وفيرٌ وَمَحْلُ
وقالَتْ: هيَ الأرضُ عطشى

ولا تشربُ الحُزنَ والمُزْنَ والأُغنياتْ ،

وَتَهْوَى ..

ولا تحفظُ العَهْدَ والذكرياتْ ،

وتنسى إذا لم يعاقِرْ دماها الشّبابُ

وينزو على فَرْجها البِكْرِ فَحْلُ

وآذارُ .. آذارُ .. أيْ سَيِّدَ المُعْجِزاتْ .

*

هيَ الأرضُ ..

قَالَتْ ليَ المحاريثُ همساً ،

قُبيْلَ ازْدِحَامِ الموانئِ بالفاتحينَ

وَقَبْلَ انْتِحارِ المَناجلِ/ وأدِ المعاوِلِ ..

خذْ عِطْرها بَهْجَةً للرَّحيلْ ،
وخُذْ مِنْ لَماهَا صفاءَ الحياةِ
وَأُنْسَ الطّريقِ الطّويلْ .
وخُذْ مِنْ ثَراها يسيراً يسيراً
لِتَذْكُرَ أنَّ الهداهدَ تبني العِشاشَ
كَما لا تشاءُ الرّياحُ ،
وتمرحُ ..
رغم اشْتِدادِ الصّقيعِ ،
وتعشقُ شيحَ الجليلْ .
وإنْ ضاق صَدرُك بالعابرينَ
ورِجْسِ الحقائِبِ

والمُحسِنينَ ..

تَنَهَّدْ ..!!

لتجمعَ شَمْلَ اليمام الحزينْ ،

وتُبْعَثَ عِشقاً تناثَر فوقَ رمالِ الأمانيِّ ،

أقمارَ طينْ ،

وآذارُ آذارُ .. أيْ مُلْهِمَ العاشقينْ ،

سَأَلْتُكَ عُمْراً ..

فجئْتَ حِراباً ،

وحينَ سألتُكَ موتاً سريعاً

تباطَأتَ

صِرْتُ أحدِّقُ فيكَ

وكَنْتَ تُحدِّقُ فيَّ

كِلانا مُقيمٌ ويشربُ نَخْبَ الوَداعِ ..

هنالكَ خَلفَ غُبار الخُيولِ المُخبَّةِ خَلْفاً

هنالك خَلْفَ ضبابِ السِّنينْ ،

هُنالِكَ ..

قالَتْ ليَ الفراشاتُ

كيفَ تُطيقُ وداعَ النّخيلِ

وَطَعْمَ الرّحيلِ

وتحمِلُ قلبَ مُغامِرْ ؟!!

وتلبَسُ زُرقةَ طيرٍ مُهاجِرْ

وترحلُ غَيْماً

وتُمطِرُ ضَيْماً

وتَجري حَنينَ مُسافِرْ ،

بكيْتُ رُفوفاً رُفوفاً مِنَ النَّحْلِ

طارَتْ بعيداً تُقَبِّلُ زَهْرَ الرَّوابي

وتجمعُ همسَ الأقاحي سِلالَ بشائرْ

لقدْ ضاقَتْ بِيَ الأرضُ طِفلاً يَحُكُّ جدارَ الحياةِ ،

بقَلْبٍ تشقَّقَ فوقَ نعيبِ المنابِرْ .

بَكيْتُ ..

فقال لي البحرُ

خُذ لَوْنِيَ اللاّزَوْردَ / لونَكَ

وارْفَعْ سماءَكَ

وابْسُطْ أديمَكَ

خُذْ ما تشاءُ

وَوَفِّرْ لِجُرْحِكَ بَرْءاً جديداً وَسَقْفَا .

وحُبّاً جديداً وإلفا ،

ويكفي رفوفُ السّنونو انْتِحاراً

على مَذْبَحِ الأُمنياتْ

تَقَدَّمْ لِعَبْلَةَ زَينَ الشّبابِ

جِراحُكَ مَهْرُكْ

سوادُك عِقدُ الزّواجِ الأخيرُ ولَحْدُكْ .

وآذارُ يَشْهدُ عِقْدَ الزّواج

ويشهدُ جَنَازَ سِرْبِ الشّحاريرِ ،

آذارُ .. آذارُ أيْ عاشقَ الفاتِناتْ ،

عَشِقْتُ ..

فقالَ ليَ النَّهْرُ خُذْ غُربةَ الطَّمْيِ

والطَّمْيَ ..

فَصِّلْ على ضِفَّةِ الرُّوح ثوباً جديداً لِعُمْرِكَ ،

هَيِّئْ لِنَفْسِكَ ما تشتهيهِ ،

وما قَدْ تُريدْ ،

سَيأتيكَ وَجْهُ الحبيبةِ عندَ الضُّحَى

مُرسَلا بالبريدْ ،

سيأتيكَ وَجْهُ الحبيبةِ ... إنّي فَرِحْتُ ،

ضحكْتُ وكنْتُ أُريدُ البُكاءَ

ضحكْتُ كما تَضْحَكُ الشّاةُ

حينَ تَرَى لَمْعَةَ الموتِ في دربِها للوريدْ ،

صرخْتُ: إلهي .. إلهي !!

لماذا أموتُ وأرحلُ ،

ثُمَّ أموتُ وأرحَلُ

ثُمَّ أموتُ فتحملُ نَعْيِي الدُّروبُ مزاميرَ شُكْرٍ ،

وأجراسَ عيدْ !!!

وحينَ رجعْتُ وفيرَ الدّمامِلِ مِنْ رِحْلةِ الجُرْحِ

كانَتْ دموعُ الحبيبةِ تغسِلُ قَرْحاً ضَئيلاً ،

على نَهْدَةِ الصّدْرِ،

فَتَّحَ قَبْلَ الشقائقِ ،

أمطرَ حُبّاً كبيراً وَصَفْحا .

وأمطرَ تيناً وزيْتاً وطورَ سنينَ وَقَمْحا .

وأمطرَ .. أمطرَ .. ميلادَ موتٍ جديدٍ وخمسينَ رُمْحَا .

أموتُ وبينَ الحياةِ وموتي

طلائِعُ فَجْرٍ وليدْ .

وكانَ صهيلُ الرّياحِ

يُقبِّلُ نَجْماً قُبَيْلَ الّلقاحِ ،

ويُلقي رذاذاً رقيقاً على ضَيْعَةِ البَيْلَسَانْ .

فَهَبَّتْ جميعُ الغُصونِ الطّريئَةِ ،

تُنشدُ لَحْنَ الرُّجوعِ

بصوتٍ شديدِ التّخثُّرِ غيظاً –

لماذا الرّجوعُ ... ؟!!

لماذا الرّجوعُ وهذي الجذوعُ تَشُدُّ التُّرابَ ،

تشدُّ .. تشدُّ وتحنو عليهِ

تَصُدُّ زفيرَ الغُزاةِ

تَشُدُّ وتمضي الْتِياعاً إليهِ .

لماذا الرُّجوعُ ... ؟!

لو انَّ الطّيورَ تُنقِّرُ عينَ الزّمانِ

وتشربُ لونَ المكانْ .

وتخلعُ لونَ الرّحيلِ

وَزَيْفَ السّرابِ وَرَغْوَ الدُّخانْ .

وَتَلْعَنُ سِرْباً تفرَّقَ خَوْفَ الضَّياعِ

فضاعَ ..

طريداً .. شريداً يغازِلُ طَيْفَ الحَيَاةْ

(سنرجعُ يوماً ...) يقولُ بِلَحْنٍ حزينِ التَّفاؤُلِ

تبكي السَّماءُ

فَيَبْسِمُ كِبْراً .

وتصحو الحياةُ فيغفُو الطَّريدُ

ويصحو .. وَيَغْفُو ..

على القُبْلَةِ المُشتَهاةْ .

*

وعادَتْ حساسينُ صيفي المُهاجِرِ ،

تُنشِدُ لحنَ الرّجوعِ حزيناً بريئاً كَوجْهِ المهاجِرِ ،
قُلْتُ : لماذا تعودينَ عندَ المَحَاقِ
وبيني وبينَكِ ليلٌ طويلٌ وَأحلامُ عاقِرْ .
لماذا تعودينَ ..؟!
إنّي رهينُ البَنَفْسَجِ والذكرياتِ - وأنْتِ
الطّليقةُ- إنّي أنامُ وأصحو على نَوحِ شاعرْ .
أقولُ: لماذا تعودين ..؟! هذا زمانُ البَغَاءِ
وَزَيْفِ الرِّثاءِ
وَصَلْبِ الرّياحينِ صبْحاً على رُمْحِ كافِرْ .
تعودين ؟! أينَ ؟! وكيفَ !؟ ،
إذا لم تَحُطّيِ رِحالَكِ فوقَ جبيني !!

إذا لَمْ تنامي مزاميرَ عِشْقٍ على هُدْبِ ثائِرْ !!

لَبِسْتُ عَرارَ الجليلِ وِشاحاً ..

أكلْتُ .. شَرِبْتُ

تَزَمَّلْتُ دِفْءَ الجليلِ .. ونِمْتُ

فجاؤُوا بأمرِ الكتابِ العظيمِ وقالوا :

سرقْتَ نَعيمَ (مُهاجرْ) ،

فَجمِّعْ ظِلالَكَ ،

واحْمِلْ أريجَ الطُّفولةِ زادَ الطّريقِ وسافِرْ .

لنا الوردُ والشَّهْدُ والجَنَّةُ المُقْفَلَهْ

لنا الوردُ .. فاحمِلْ أكاليلَ شَوْكٍ ،

وشُقَّ طريقَكَ بينَ الدّموعِ .

هنالكَ عرشُكَ / نَعْشُكَ والجُلْجُلَهْ .

*

وكانَتْ رفوفُ الحساسينِ
تلبَسُ ثوبَ الزِّفافِ الحزينَ
وتُنْشِدُ لحنَ الجنازةِ عندَ المساءِ ..
(وغابَ نهارٌ ..) تُرجِّعُ .. (غابَ نهارٌ) ..
(سنرجِعُ يوماً) .. سنرجِعُ ..
هل شاقَكِ الموتُ ..
أمْ ضاقَتِ الأرضُ بالبائسينْ ؟!
هلْ غاظَكِ الصَّمْتُ
أمْ ضِقْتِ بالعطفِ والمُحسنينْ؟!

تقولُ : سأرجعُ، إذْ ما رَجَعْتُ ،

لأنَّ الضَّبابَ ثقيلٌ

وليلَ الغريبِ طويلٌ

وَظُلْمَ القَريبِ شَديدٌ على ضَوْعَةِ الياسَمينْ .

تقولُ : سَئِمْتُ الإعارَةَ ..

هذا الصَّباحُ مُعارٌ

وهذا المساءُ مُعارٌ

وهذا النَّسيمُ مُعارٌ

وهذا الرِّداءُ مُعارٌ

وهذا الرَّغيفُ مُعارٌ

وهذا المكانُ وهذا الزَّمانْ ..

سأحملُ جُرحي
وأخلعُ ضَعْفَ الزّنابقِ ،
أهجُرُ كُلَّ الميادينِ ،
كُلَّ الخيولِ الهجينَةِ ،
أَلْعَنُ كُلَّ فُنونِ الرِّهانْ
وآتيكِ ..
آتيكِ يا ضَيْعَةَ البيلَسانْ
فأنتِ لِجُرْحِيَ مَهْدٌ
وأنتِ لِجُرْحِيَ لَحْدٌ ..
وأنتِ ...

(آب ١٩٩١)

أنا وحبيبي ..
والفرح الأبيض *..

هَدَأَ الكونْ ..

وتراخَتْ قبضاتُ الظُّلْمَةِ ،

فانْبَلَجَ الفرحُ الأبيضُ نَدْفاً ،

يجمعُ أرواحاً هائِمةً ،

وَيَنُثُّ بَخوراً ،

فوق عيونٍ كَحَّلَهَا الحُزْنُ ،

فنامَتْ ذابلةَ الأجفانْ ،

وأنا وحبيبي ..

في هذا الفرحِ الأبيض رُوحانِ يهيمانْ .

وأطَلَّ الصُّبْحُ ، وليداً في اللَّفَّة يبسمُ ..

والشّمسُ تُدغدِغُ أعطافَ القريةِ ،

كي تُخرِجَهَا مِنْ كَسَلِ النّومِ وبِئْرِ الأحزانْ .

وأنا وَحبيبي ..

في هذا الصُّبْحِ الباسم قلبانِ يَرفانْ .

وتراءَتْ خلفَ حدودِ الحُزْنِ الدائِم ،

روحٌ قُدّوسٌ ..

حَرَّرها الفَنُّ فهامَتْ ..

وتسامَتْ نحوَ الأعْلى
تَبْحَثُ عنْ طيرِ الفرحِ الأزرَقِ
خلفَ الشَّجرِ الخاشِعِ ، كَلَّلَهُ الشَّيْبُ
فزادَ خشوعاً
وتهادى مَحْنيَّ الظَهْرِ
ثقيلَ الخَطْوِ ، طويلَ الأردانْ .
وأنا وحبيبي ..
ما بينَ الشَّجَرِ الخاشِعِ حُبًّا
غُصْنان يَميلانْ .
.. وهناكَ أبو الحِنّاءِ يَحُطُّ *
فيجلِدُهُ البَرْدُ .. يطيرُ ..

يُفتِّشُ عن موطئِ قَدَمٍ ..
أينَ يَحُطُّ ..؟!
وَهذا العالَمُ ثوبُ زِفافٍ أبيضُ
أو بِدْعَةُ فنّانْ .
وأنا وحبيبي -
مِثْلُ أبي الحِنّاءِ جناحانِ طليقانِ / أسيرانْ .
.. وهُنا ميزابٌ يَصْدَحُ خلفَ الدارِ قُروناً ..
جَامَعَهُ البَرْدُ فشاخَ
وأرخى كَشُيوخ القرية لِحْيَتَهُ ..
صَمَتَ الميزابُ وكانَ أنيسَ المقرورِ السَّهرانْ
ثَلْجٌ .. ثَلْجٌ ..

ثَلْجٌ في كُلِّ مكانْ ،

وأنا وحبيبي ..

قُدّامَ الميزابِ المُسْبِلِ لَحيتَهُ ،

طفلانِ غريرانْ ،

ثَلْجٌ .. ثَلْجٌ ..

ثَلْجٌ في كُلِّ مكانْ ،

فَعَلا ذاكرتي عَبَقُ النّارَنْجِ وَزَهْرُ الرُّمّانْ ،

.. أهلاً .. أهلاً بالقادمِ فرحاً أبيضَ

يَغْسِلُ أحزانَ القريةِ ،

يوقِدُ أفراحَ الفُقراءْ ،

ثَلْجٌ قُطنيُّ الدِّفْءِ يُغطّي وَجْهَ القريةِ/

قَرْيَتيَ النّائِمةِ –
تَظَلُّ عروساً في حِضْنِ الجَبَلِ الفَحْلِ ،
الشّامخ كِبْراً ،
والغارِقِ في صَمْتِ الحُكَماءْ ،
هذا الحارسُ ،
أوْدَعَ في قَلبي عُنْفَ الشِّبْلِ
وأمْنَ الطِّفْل يداعِبُ دميَتَهُ
ما بينَ رمُوشِ الأُمِّ
ودِفْءِ الحُلمِ الوَرْدِيّ .
هذا الحارسُ
عَلّمَني أنَّ القريةَ مَهْدٌ / لَحْدٌ أبديّ

والوَطَنَ قَفيرٌ ،

وأنا وحبيبي كالنَّحْلَةِ ،

نشربُ أرْيَ اللَّيْلَكِ ،

وَنُلَقِّطُ مِنْ بين الأشواكِ جراحَ البُسَطاءْ ،

هذا وَطَني يَحْضُنُني ..

وأنا وحبيبي نحضُنُ فيهِ

رَبيعَ فراشاتٍ

وعرائِشَ صَيْفٍ

وخُمورَ خريفٍ

وشتَاءً مملوءَ الأهْراءْ .

*

يومي فَرَحٌ ودُخانْ ..

فَرَحٌ يتساقطُ في أوْرِدَتي

ودُخانٌ يتصاعَدُ في مِدْخَنَتي

وسمائي تشهَدُ طَقْسَ جِماعٍ

ما بينَ غُيومٍ عاشقةٍ

ودُخانٍ يتقاطرُ ..

يعلو .. حلقاتٍ حلقاتْ .

وأنا في نافذتي ..

ألْمِسُ دِفْءَ الثَلْجِ القُطنيِّ ،

وأشْهَقُ .. أشْهَقُ .. تخنُقُني الآهاتْ .

وحبيبي يَلْهَثُ دَهَشًا ..

طِفلٌ بَاغَتَهُ الشّوقُ فأعياهُ النُّطْقُ ،

وخانتْهُ الكلماتْ .

قَبّلني فوقَ جَبيني مبهورَ الأنفاسِ

وكانتْ يَدُهُ تَتَحَسَّسُ عابِثَةً شَعْمَةَ أُذُني

فَلَثَمْتُ أناملَهُ ،

وَرَكَضْنا كي نغسلَ قلْبيْنَا ببهاءِ اللّهِ ،

رَكَضْنا ..

والقريةُ كانتْ قدْ خَرَجَتْ مِنْ ضَجَرِ مَخادِعِها ..

تجري .. تجْمَحُ ..

وصهيلٌ أخضرُ يمتصُّ جميعَ الطُّرُقاتْ .

أطفالٌ في مَرَحِ النَّحْلِ ..
نساءٌ .. شُبّانٌ ..
وكهولٌ خلعُوا ثوبَ الحِشمةِ ..
خرجوا أرتالاً .. أرتالْ .
كُلٌّ يبحَثُ عن طِفْلٍ مَوْؤودٍ في داخلِهِ ،
فالقريةُ عطشى للفرحِ الهاربِ مِنْ بينِ أصابِعِها
ما بينَ الهَمِّ اليوميّ وبينَ ظِلالِ المأساةْ .
القريةُ صارَتْ ..
في هذا الثَلْجِ الدافِئِ رَوْضَةَ أطفالْ .

*

يا مَنْ تسألُني عنْ سرِّ البَسْمةِ في شَفَتَيّ
حَدِّق في عَيْنَيّ
وَستُبْصِرُ أنّي رَغْمَ الهمِّ الدائِمِ ،
لا أجْلِدُ ذاتي
أو أبْصُقُ في وجه الزّمنِ العاتي ..
فأنا إنْ ضاقَتْ أيّامي
واتّسَعَتْ خارطةُ الحُزْنِ أمامي ،
أُطْلِقْ ذاك الطّفْلَ الموثَقَ في صدري
وأُنادي ..
مِنْ قِحْف الرّأسِ ،
وَغَوْرِ النّفْسِ .. أُنادي ..

- أفديكِ .. بلادي ..

(كانون الثّاني ١٩٩٢)

* لقد نُشرَتْ هذه القصيدةُ في جريدة الإتّحاد (الجمعة ١٣ آذار ١٩٩٢) تحتَ اسمِ (ثَلْج) وعند مراجعتها لتكون إحدى قصائد هذا الديوان رأيت من المناسب أنْ أدخلَ عليها الكثير من التّعديلَ .. وهكذا كانْ، وقدْ اقْتَضَى التّنوية ..

(حسين: ٦ شباط ١٩٩٣)

* أبو الحِنّاء: طائرٌ صغيرٌ أحمرُ الصّدْرِ، يظهر عندنا في فصل الشتاء ..

الفهرس

١.	هُمومٌ	٥
٢.	هذي العَبَثِيَّةُ	٩
٣.	لوط يبكي زوجَتهُ	١٢
٤.	هي وَصَمتُ العاشِق	١٧
٥.	مَنْ أنت	٢٢
٦.	تَمُرّين في خاطري	٢٦
٧.	تَمَنّي على القلبِ	٣٢
٨.	تَهليلةٌ إلى طِفْلٍ لا ينامُ	٣٦
٩.	كيمياءُ البَنَفْسَجِ	٤٥

١٠. لماذا تموتُ الفراشاتُ ٥١
١١. أخَذْتَ السُّندُسَ .. فاتْرُكْ شيئاً من دَمي ٥٩
١٢. أنتِ سَبِيتَتُهُمْ .. وشِعْري نحيبُ العاجزِ ٧٠
١٣. هي الأرضُ .. إنّي وريثُ الحجر .. ٨٢
١٤. أنا وحبيبي .. والفرحُ الأبيضُ .. ١٠٠

صدر للشّاعر

١. وطني ينزفُ حُبّاً - شعر- ١٩٧٨ - الأسوار/ عكّا.

٢. وطني رُدَّني الى رُباك شهيداً - قصص-١٩٨١- الأسوار/ عكّا.

٣- أموت قابضاً حجراً - شعر - ١٩٨٦- الأسوار/ عكّا.

٤- تمتماتُ آخر الليّلِ - شعر - ١٩٨٨ - الأسوار/ عكّا.

٥- قابضونَ على الجَمْرِ - شعر-١٩٩١- مطبعة ابو رحمون/ عكّا.

٦- حديثُ الحواسِّ - شعر- ١٩٩٢ - مطبعة ابو رحمون/ عكّا.

٧- عَوَضٌ يستردُّ صِباهُ - شعر- ١٩٩٣- مطبعة ابو رحمون/ عكّا.

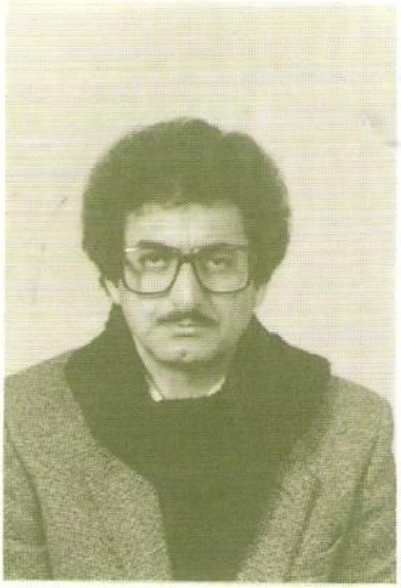

* أنا ..

* من مواليد قرية البقيعة- الجليل سنة ١٩٤٥.

* فيها أنهيتُ دراستي الابتدائيّة.

* وفيها عملتُ مُدرِّسًا للّغتين : الإنجليزيّة والعربيّة بعد أن تخرّجْتُ من مدرسة الرّامة الثّانويّة سنة ١٩٦٣.

* أعتبرُ نفسي شاعراً مُقلاً لأنّ قصيدتي كرغيفي.. ورغيفي يبدأ حَبّةً ثُمّ سُنبلةً ثُمّ طحينًا فعجينًا فخُبْزاً طازجًا أُقدّمُهُ للنّاس..

* أعلنْتُ جنوني رسميًا بإصدار مجموعتي الشّعريّة الأولى سنة ١٩٧٨. أتبعتُها بِ ٦ مجموعات شعريّة أُخرى تُؤكّدُ جنوني..

* لا أزالُ أحترفُ الحياةَ وأُدمنُ الشّعرَ/الجنون.

حسين